التعايش العلمي بين العلوم الحديثة والخطاب الديني:
دراسة في سورة البقرة نموذجا

Abdul Mufid
Sekolah Tinggi Agama Islam Khozinatul Ulum Blora, Indonesia
nawalmiza@gmail.com

Abstract: *This study is a step to devising and achieving scientific coexistence, or what we call the endless miracle of the Quran in all fields and at all levels. The Quran is like an ocean, the deeper it becomes, the more you discover its potentials. He who looks at it to discover the laws will find his way. He who navigated to discover its linguistic or graphic secrets will find what he wants. He who reads its stories and histories will have fun and enjoyment.*

Keywords: *Scientific; Coexistence; Modern Science; Religious Discourse*

ملخّص البحث: *تعدّ هذه الدراسة خطوة على طريق استنباط وتحقيق التعايش العلمي أو ما نسميه بإعجاز القرآن الذي لا ينتهي، في كافّة المجالات، وعلى كافّة الأصعدة . فالقرآن كالبحر الذي كلما تعمّقت فيه أكثر زاد اكتشافك لمكنوناته أكثر. فمن نظر فيه ليستنبط الأحكام فسيجد ضالته . ومن تبحّر فيه ليكتشف أسراره اللغوية أو البيانية فسيجد ما يبغيه. ومن قرأ قصصه وأخباره التاريخية والغيبية فسيحصل على المتعة واللذة.*

الكلمات المفتاحية: *العلمي، التايش، العلوم الحديثة، الخطاب الديني*

المقدمة

القرآن هو كلام الله الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل ليتم قراءتها وفهمها وممارستها كدليل للحياة. كان القرآن باعتباره نصا لا يتغير، لكن تفسير النص يتغير دائمًا حسب المكان والزمان. لذلك يفتح القرآن دائمًا نفسه لتحليله وتفسيره باستخدام العديد من الأدوات والأساليب والطرق للكشف عن محتواه الحقيقي. يتم اقتراح طرق وتفسيرات مختلفة كطريقة لتشريح أعمق معاني القرآن.[١]

إن ظاهرة القرآن باعتبارها معجزة هي واحدة من الدراسات المعقدة للغاية، لأن الكثيرين يناقشون حقيقتها ولكن تنوّع أشكال القرآن إعجازا هو أعظم معجزة منحها الله للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وليس نتيجة للحيلة الإنسانية.[٢]

تباينت أقوال العلماء في تحديد وجود الإعجاز في القرآن الكريم، فمنهم من أوصلها إلى عشرة وجوه، ومنهم من نيف على ذلك، ومنهم من جعل وجوه الإعجاز وجها واحدا ونافح عنه وأورد الإعتراضات على سواه. ومن يتتبّع هذه الوجوه التي ذكرها العلماء قديما وحديثا يجد كثيرا منها تتداخل أو تتشابه ويمكنه بعد الإستقراء أن يجمع بين كثير منها. ولذا يمكن أن نجمع الأقوال جميعا في أربعة وجوه وهي الإعجاز البياني والإعجاز العلمي (التجريبي) والإعجاز التشريعي والإعجاز الغيبي.[٣]

وللإعجاز العلمي له أهمّية بالغة في هذا الزمن حيث عصر العلم والتطوّر والإبداع والتفوق المعرفي والذي لم يكن منتشرا ومزدهرا في السابق كما في هذه الأيام، لذا من الأهمية بمكان تناول المستجدات العلمية والطبية في كافة المجالات ودراستها وبيان علاقة القرآن الكريم ودلالته عليها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر حتى تتعزز في نفوس كل من قرأ آياته أو سمعها أنه كتاب إلهي ليس من صنع بشر، إذ كيف لبشر يعيش منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام أن يعرف ويتنبأ بأبرز القضايا العلمية والتي لم تكتشف إلا حديثا، وهذا يقرب المسلمين من دينهم ويزيدهم تمسّكا واعتصاما به ويسهم في إسلام المزيد من العلماء والناس جميعا من غير العرب والمسلمين ويقرّبهم إلى هذا الدين العظيم.

وتبرز أهمية هذه الورقة كونها تعالج موضوعا علميا معاصرا في أطول سورة في القرآن الكريم وهي سورة البقرة

[1] Aftonur Rosyad, "Qawaid Tafsir: Telaah atas Penafsiran Alquran Menggunakan Qaul Sahabat," *Ulul Albab: Jurnal Studi Islam,* Vol. 16, No. 2, 2015, 250. Lihat pula Jauhar Azizy, Muhammad Sairi, "Al-Qur'an Antara Wahyu Aural dan Kodifikasi 'Uthmani," *Ilmu Ushuluddin*, Vol. 5, No. 2, 2018, 94.

[2] Selamat Bin Amir, Monika, Munirah Abd Razzak, Dato' Mohd Yakub, Zulkifli Mohd Yusoff, "Aplikasi Elemen Saintifik dalam Tafsir Al-Qur'an: Satu Pengamatan Awal Terhadap Manhaj Zaghlul Al-Najjar dalam *Tafsir al-Ayah al-Kauniyah fi al-Qur'an al-Karim*," disajikan dalam Proceedings: The 2nd Annual International Qur'anic Conference pada 22-23 Februari 2012 bertempat di Akademi Pengajian Islam Universiti Malaya Kuala Lumpur.

[3] مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن (الرياض: دار المسلم، ١٤١٦ هـ)، ١٢٢.

DOI: 10.15408/iu.v7i1.14046

حيث تتناول الدراسة ما حوته آيات سورة البقرة من الإعجاز العلمي مع بيان بعض الأمثلة على توافق العلم الحديث مع ما أشارت إليه بعض الآيات القرآنية من أجل أن نخرج بنتيجة واضحة وهي أن الهدف الأساس من الإعجاز العلمي يتناسق مع الهدف من بقية وجوه الإعجاز الأخري وهو تحقيق الهداية والرشاد للناس جميعا. فالإعجاز العلمي يسهم في جذب أكبر عدد ممكن من الناس إلى هذا الدين العظيم ويسهم في تمسك المسلمين بكتاب ربهم وهدى نبيهم . تحاول هذه الورقة الإجابة عن العديد من الأسئلة البحثية: ما أهمية ترتكيز الضوء على الإعجاز العلمي في سورة البقرة؟ ما هي أهم الآيات التي تناولت في ثناياها الإعجاز العلمي من خلال السورة الكريمة؟ هل يتناقض الإعجاز العلمي مع الهدف والغاية من نزول القرآن الكريم؟ هل الإعجاز العلمي في سورة البقرة يقتصر على جانب واحد فقط أم على أكثر من جانب سواء كان جانبا كونيا أو تشريعيا أو صحّيّا أو غير ذلك؟

يعتمد هذا البحث على اتباع المنهج الإستقرائي والتحليلي والمنهج الإستنباطي حيث قام الباحث بالتأصيل أولا لموضوع الإعجاز العلمي ثم تناول الآيات التي فيها إعجاز علمي في سورة البقرة، وقام الباحث أولا بتفسيرها لغويا ثم بتفسيرها بالمأثور، وبعد ذلك رجع الباحث إلى ما كتبه علماء التفسير من تفسير علمي لهذه الآيات، وبعدها بتفسيرها واستنباط الإعجاز العلمي فيها من خلال ما تم اكتشافه حديثا عبر التجارب والأبحاث والمختبرات.

بالنسبة للدراسات السابقة، قد وفق الباحث على بعض المراجع والدراسات السابقة التي فيها إشارت مباشرة أو غير مباشرة لهذا الموضوع القيم. هناك عناوين متفرقة في هذا الموضوع، منها:

أولا – القرآن وإعجازه العلمي لمحمد إسماعيل إبراهيم. هذا الكتاب فيه من المعلومات والفوائد الشيئ الكثير يحتوي على ثلاثة أبواب. إستعرض في الباب الأول التأكيد على أن هذا القرآن هو كتاب إلهي ليس من صنع البشر، ثم أشار في الباب الثاني إلى المراحل التي مر فيها تفسير القرآن ومميزات كل مرحلة ثم استعرض في الباب الثالث طائفة من الآيات التي تدل على الإعجاز العلمي من جوانب مختلفة.

ثانيا — موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمحمد راتب النابلسي. في هذا الكتاب تناول المؤلف الكثير من أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي السنة النبوية أيضا، وفصل في ذلك كثيرا حيث تكلم عن معظم أوجه الإعجاز العلمي سواء في الأرض أو في الكون أو في النجوم والمجرات أو في الحشرات أو في النباتات أو في الطيور والأسماك وغير ذلك من أوجه الإعجاز العلمي سواء في سورة البقرة أو في غيرها من سور القرآن الكريم.

ثالثا – حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في العصر الحديث لمحمد المهدي محمود علي. هذا كتيب نافع ذكر فيه المؤلف أن إعجاز القرآن الكريم لا يمكن أن ينتهي بل في كل يوم تظهر دلائل جديدة على إعجاز هذا الكتاب الكريم. إن كان من ناحية بلاغية أو بيانية أو علمية أو اجتماعية أو طبية فالكل يجد ضالته في القرآن الكريم ، فهو الكتاب الخالد والذي لا تنقضي دلائل ومظاهر إعجازه حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ثم استعرض المؤلف بعض مظاهر الإعجاز العلمي في كل من العسل والرطب والحكمة من تحريم الخمر.

أما موضوع البحث الذي كتب الباحث في هذه الورقة فهو يتناول تخصيص بعض الآيات من سورة البقرة التي تحوي في ثناياها الإشارة إلى بعض القضايا العلمية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وبيان مدى التوافق والتطابق بين تلك الإشارات وما أكّده وأثبته العلم الحديث.

الإعجاز العلمي في تقديم السمع على الأبصار

قال تعالى: خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ[٤]

أولا – معنى مفردات الآية

ختم الله: ختم فى اللغة وطبع هما بمعنى واحد، وهو التغطية على الشيئ والوثوق من عدم دخول شيئ أخر عليه.[٥] وقال الأصفهاني إن الختم هو الأثر الحاصل على نقش.[٦] وحقيقة الختم : الوثوق من الشيئ من أجل أن لا يدخل إليه ما ليس فيه ولا يخرج منه ما هو فيه، ومنه أخذ الختم على الباب.[٧] وأضاف الزمخشري معنى جديدا بقوله إن الختم والكتم أخوان لأن في الإستيثاق من الشيئ بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية، والغشاوة : الغطاء.[٨]

ثانيا – التفسير بالمأثور للآية

قال الطبري: "والحق في ذلك عندي ما صحّ بنظيره الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزعواستغفر صقلت قلبه، فإن زاد زادت حتى تُغلق قلبه، فذلك "الران" الذي قال الله جل ثناؤه : كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[٩]، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا توالت وتتباعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتهاأتاها الختم والطبع من الله

[٤] سورة البقرة: ٧.

[٥] أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت. ٣١١ هـ)، *معنى القرآن وإعرابه*، ط ١، ج ١، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨ م)، ٨٨.

[٦] أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت. ٥٠٢ هـ)، *تفسير الراغب الأصفهاني*، تحقيق: محمد عبد العزيز بسوني، ط ١، ج ١، (الرياض: دار الوطن، ١٩٩٩)، ٨٩.

[٧] الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (ت. ٥١٠ هـ)، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط ١، ج ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ)، ٨٦.

[٨] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت. ٥٣٨ هـ)، *الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ط ٣، ج ١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ)، ٤٨.

[٩] سورة المطففين أية ١٤

[١٠] أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة (ت. ٢٧٣ هـ)، *سنن ابن ماجة*، ج ٢، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية، بدون سنة)، ١٤١٨.

DOI: 10.15408/iu.v7i1.14046

عز وجل، فلا يكون هناك طريق ومسلك للإيمان ولا هروب ومخلص من الكفر.[١١]

وقد نقل ابن أبي حاتم في تفسيره عن السُدى وقتادة ومجاهد تفسيرهم ورأيهم في معنى الختم الذي ورد في الآية الكريمة حيث قال السُدى: بأن معنى ختم الله اى طبع الله، وقال قتادة: استحوذ عليهم الشيطان عندما رضوا على أنفسهم طاعته فختم على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فهم لا يبصرون هدى ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون، وقال مجاهد: بأن الختم هو الطبع ويحصل عندما تتكالب الذنوب على القلب حتى تحيط به من كل جانب.[١٢]

ثالثا – التفسير العلمي للآية المذكورة

يلاحظ الباحث في الآية الكريمة تقديم السمع على البصر وهذا بحسب رأي الكثير من العلماء والمفسرين دليل الأفضلية، ومن أبرزهم الرازي والقرطبي وابن قتيبة والألوسي والسمرقندي والطاهر بن عاشور. ويلخص الرازي أراء معظم هؤلاء العلماء بأن التقديم دليل على التفضيل ويبين أسباب التفضيل فيقول إن السمع شرط النبوة بخلاف البصر ولذلك ما بعث الله رسولا أصم فالسمع كأنه سبب لاستكمال العقل بالمعارف ولأن السمع متى بطل بطل النطق، والبصر إذا بطل لم يبطل النطق.[١٣]

وكذا قال الألوسي في تفسيره من تفضيل للسمع على البصر حيث بين سبب التفضيل والتقديم في أن السمع يشارك القلب في التصرف في الجهات الست (الأمام، الخلف، اليمين، اليسار، الأعلى، الأسفل) مثله دون البصر ولذا حاز على الأفضلية.[١٤]

ومن العلماء المتأخرين الذين أكدوا على مبدأ تفصيل السمع على البصر بدليل تقدم ذكر السمع على الأبصارفي الآية الكريمة الطاهر بن عاشور، حيث قال إن في تقديم السمع على البصر في مواقعه من القرآن دليل على أنه أفضل فائدة لصاحبه من البصر فإن التقديم دليل على أهمية المقدم وهو الآلة التي تستعمل لتلقي المعارف التي بها كمال العقل وهو وسيلة بلوغ دعوة الأنبياء إلى أفهام الأمم ولأن السمع ترد إليه الأصوات المسموعة من الجهات الست بدون توجه بخلاف البصر فإنه يحتاج إلى التوجه بالإلتفات إلى الجهات غير المقابلة.[١٥]

ويري الشيخ الشعراوي – أحد أئمة التفسير في هذا العصر – بأن تقديم حاسة السمع على البصر دليل

---

[١١] أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي الطبري (ت. ٣١٠ هـ)، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ط ١، ج ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ)، ٢٦٠.

[١٢] أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي بن أبي حاتم (ت. ٣٢٧ هـ)، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط ٣، ج ١، (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩ هـ)، ٤١.

[١٣] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، *مفاتيح الغيب*، ط ٣، ج ٢، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ)، ٢٩٥.

[١٤] شهاب الدين السيد محمود الألوسي، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، ج ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون سنة)، ١٣٨.

[١٥] محمد الطاهر بن محمد التونسي بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)، *التحرير والتنوير*، ط ١، ج ١، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م)، ٢٥٨.

على الأفضلية للأولى على الثانية ويبين أسباب ذلك فيقول إن السمع أول عضو يؤدي وظيفته في الدنيا، فالطفل ساعة الولادة يسمع عكس العين فإنها لا تؤدي مهمتها لحظة مجيئ الطفل إلى الدنيا، ثم إن الأذن لا تنام والشيئ الذي لا ينام أرقى في الخلق من الشيئ الذي ينام، فالأذن لا تنام أبدا منذ ساعة الخلق، ثم إن العين تحتاج إلى نور حتى ترى، وبالتالي فإن العين لا ترى في الظلام ولكن الأذن تؤدي مهمتها في الليل والنهار، في الضوء والظلام، وأخيرا فإن حاسة السمع هي الصلة بين الإنسان والدنيا، فالله تعالى عندما أراد أن يجعل أهل الكهف ينامون مئات السنين، عطّل حاسة السمع عندهم حتى استطاعوا النوم كل هذه المدة بدون إزعاج.[١٦]

وكلام الشيخ الشعراوي رحمه الله وما سبقه من المفسرين والعلماء القدامى له ما يؤيده من أقوال ودراسات وأبحاث المتخصصين من أهل العلم والخبرة في العصر الحديث كما سيتبين لنا لاحقا.

رابعا – الحقائق العلمية في تقديم السمع على البصر

يرى الشيخ عادل الصعدي بأن السمع مقدم على البصر من الناحية الطبية والعلمية لعدة أسباب، أهمها اكتمال حاسة السمع قبل حاسة البصر بعد خروج الجنين مباشرة، حيث إن حاسة السمع تكتمل قبل حاسة البصر بعد خروج الجنين مباشرة، ويمكن للجنين أن يسمع الأصوات بالطريقة الطبيعية بعد بضعة أيام من ولادته، ثم يصبح السمع حادا بعد أيام قلائل من ولادة الطفل، أما حاسة البصر فهي ضعيفة جدا عند الولادة إذ تكاد أن تكون معدومة ويصعب على الوليد تمييز الضوء من الظلام ولا يرى إلا صورا مشوشة للمرئيات وتتحرك عيناه دون أن يتمكن من تركيز بصره وتثبيته على الجسم المنظور ولكنه يبدأ في الشهر الثالث أو الرابع تمييز شكل أمه أو قنينة حليبه وتتبع حركاتهما، وعند الشهر السادس يتمكن من تفريق وجوه الأشخاص إلا أن الوليد في هذا السن يكون بعيد البصر ثم يستمر بصره على النمو والتطور حتى السنة العاشرة من عمره.

ولتأكيد أفضلية السمع على البصر فإن حاسة السمع للجنين وهو في رحم الأم وفي الأسابيع الأولى تتشكل قبل حاسة البصر، وهذا دليل آخر يثبته المتخصص في طب العيون الأستاذ الدكتور صادق الهلالي حيث يقول إن ألتا حاستي السمع والبصر تتطور في وقت متزامن تقريبا في الحياة الجنينية الأولى، إذ تظهر الصحيفة السمعية في آخر الأسابيع الثلث، وهي أول مكونات آلة السمع التي يكرم الله بها الطفل في بداية

[١٦] محمد متولي الشعراوي (ت. ١٤١٨ ه)، *تفسير الشعراوي*، ج ١، (مصر: مطابع أخبار اليوم، بدون سنة)، ١٣٤.

DOI: 10.15408/iu.v7i1.14046

خلقه، بينما تظهر الصحيفة البصرية في أول الأسبوع الرابع من حياة الجنين.[١٧]

يكمل الدكتور الهلالي عن حاسة السمع والبصر ويقول إن الإشارات السمعية والجهاز السمعي للجنين يتكون ابتداءا من الشهر الخامس، بينما الجهاز البصري لا يعمل بكفاءة واقتدار إلا بعد ولادته، ولقد ثبت علميا أن الأذن الداخلية للجنين تتحسن للأصوات في الشهر الخامس، ويسمع الجنين أصوات حركات أمعاء وقلب أمه، وتتولد نتيجة هذا السمع إشارات عصبية سمعية في المخ يمكن تسجيلها بألات التسجيل المخبيرة، وهذا برهان علمي يثبت سماع الجنين للأصوات في هذه المرحلة المبكرة من عمره ولم تسجل مثل هذه الإشارت العصبية في الجهاز البصري للجنين إلا بعد ولادته.[١٨]

ومن الأسباب والأمور التي تجعل حاسة السمع مفضلة على حاسة البصر قضية الأشعة الصوتية والأشعة الضوئية، فالإنسان يتمكن من سماع الأصوات التي تصل إلى أذنيه من كل الإتجاهات والإرتفاعات بينما لو ثبّت الإنسان رأسه في موضع واحد فلن يتمكن من رؤية الأجسام إلا في ساحة بصرية محدودة كما أن أشعة الضوء تسير بخط مستقيم دائما، فإذا ما اعترضها جسم غير شفاف فلن تتمكن من عبوره أو المرور حوله لكن الأصوات تسير في كل الإتجاهات، فهي تنتقل عبر السوائل والأجسام الصلبة بسهولة فيسمعها الإنسان في كل الحالات حتى عبر الجدران.

ويؤكد ذلك ما قاله الدكتور زغلول النجار من سبب تقديم السمع على الأبصار في العديد من الأيات القرآن الكريم حيث أثبت العلم الحديث تقدّم مراكز السمع على مراكز الأبصار في مخ الإنسان وسبق استخدام حاسة السمع لحاسة البصر عند كل من الجنين والوليد.[١٩]

ويرى الباحث أن السمع أهم وأخطر لحياة الإنسان من البصر لأن الإنسان بالسمع ومهما يكن هناك حواجز فإن الصوت يصل إلى الأذن وكأن السمع يغطي المكان كله الذي تتواجد فيه، فمثلا لو نام الإنسان في غرفة نومه فهو لا يرى إلا ما في هذه الغرفة، بينما لو سمع صوت أحد في غرفة الضيوف فإنه يهرع ليتأكد من الصوت الذي وصل إليه رغم أنه صدر من مكان أخر بعيد عنه، وإن كان يقود سيارته فهو لا يرى إلا أمامه، بينما يسمع صوت المحرك إن كان هناك خلل فيه أو صوت العجلات، ويسمع بنفس الوقت مسجل السيارة وكلام من هو بجانبه داخل المركبة، وهذا دليل على الأفضلية لحاسة السمع على حاسة البصر، ولذا قدمت حاسة السمع في آيات كثيرة.

---

[١٧] صادق الهلالي و حسين رضوان سليمان اللبيدي، الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرأن الكريم (المملكة العربية السعودية: دار جياد، ٢٠١١)، ٢٠.

[١٨] المرجع السابق.

[١٩] زغلول النجار، "من أسرار القرآن،" مقالة علمية نشرت له على موقع صحيفة الأهرام المصرية بتاريخ ١٢-٠٢-٢٠٠٧.

ففي هذه الورقة يرى الباحث أن تقديم ذكر السمع على البصر في هذه الآية الكريمة ليس من قبيل الصدفة ولا من قبيل مراعاة الفواصل القرآنية وإنما هو إعجاز علمي ظهر معنا من خلال بحثنا سواء في التفسيرات العلمية القديمة والحديثة أو من خلال الوقوف على أراء العلماء المعاصرين، حيث إن الكل أجمع أن التقديم دليل على الأفضلية وجاء العلم ليؤكد حقيقة ما قاله الله في كتابه قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام، وهذا إن دل على شيئ فهو يدل على أن هذا الكتاب العظيم من عند الله، وهو صالح لهداية وتقريب الناس نحو الإسلام إلى يوم القيامة وتوجيههم نحو الصراط المستقيم وجلب السعادة الأبدية لهم. وإذا أمعنّا النظر في النصوص الشرعية وجدنا أفضلية السمع على البصر من ثلاث نواحى. الناحية الأولى أن السمع قد أعطاه الله تعالى منذ كمال خلق الإنسان كما جاء في سورة السجدة أية ٧ – ٩. الناحية الثانية أيّد الحديث النبوي على ما جاء فى القرآن الكريم من أن الولد حين وُلد فيُشرع على والده أن يؤذّن أذنه اليمنى ويقيم أذنه اليسرى. الناحية الثالثة أن الأذن هو الحسّ الأخير المستعمل بالتلقين.

الإعجاز العلمي في ذكر البعوضة وبيان أهم خصائصها

قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ.[٢٠]

أولا – معنى مفردات الآية

لا يستحيي : اى لا يستبقى وهو مأخوذ من الحياء،[٢١] البعوض: نوع من أنواع الذباب معروف، ومفرده بعوضة،[٢٢] فما فوقها: اى في الصغر، وقيل في كبر الحجم،[٢٣] يضل: الضاد ووالالام أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو ضياع الشيئ وذهابه في غير حقه، يقال: ضل يضل ويضل، لغتان، وكل جائر عن القصد ضال، والضلال والضلالة بمعنى، ورجل ضليل ومضلل، إذا كان صاحب ضلال باطل،[٢٤] يهدي: من الهدى وهو يطلق على النهار، وسلوك طريق الحق والرشاد، الفسق: هو العصيان والترك لأوامر الله والخروج عن طريق الحق إلى طريق الضلال.[٢٥]

---

[٢٠] سورة البقرة أية ٢٦.

[٢١] محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦ هـ)، *مختار الصحاح*، ج ١، ط ٥، تحقيق: يوسف الشيخ محمد. (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠ هـ)، ٨٦.

[٢٢] محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ)، *لسان العرب*، ج ٧، ط ٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ)، ١٢٠.

[٢٣] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت ٨١٧ هـ)، *القاموس المحيط*، ج ١، ط ٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ)، ٩١٩.

[٢٤] أحمد بن زكريا بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، *معجم مقاييس اللغة*، ج ٣، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ)، ٣٥٦.

[٢٥] ابن سيده، أبو الحسن على بن إسماعيل المرسي بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، *المحكم والمحيط الأعظم*، ج ٦، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ)، ٢٤٢.

DOI: 10.15408/iu.v7i1.14046

فرّق الراغب الأصفهاني بين الحياء والخجل فقال إن الحياء معناه: عارض للفرع من النقيصة، وذلك بين الوقاحة والخجل، فإن الوقاحة هي الجرأة على الأعمال القبيحة من غير مبالات، والخجل انحصار النفس عن الفعل، والحياء مأخوذة من لفظ الحياة التي يراد بها العلم والعقل، ووجه ذلك أن الحياء أسّ العقل إذ هو أول أمارة منه تظهر من الصبي، والحياء أول منزلة من العقل، والإيمان أخر منزلة له.[٢٦]

ثانيا – تفسير الآية بالمأثور

نقل الإمام الطبري في تفسيره عن ابن مسعود أنه قال في نزول هذه الآية لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين، يعني قوله : (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) وقوله (أو كصيب من السماء)، تساءل المنافقون واستنكروا أن يكون الله قد ضرب تلك الأمثال، فقالوا الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً) إلى قوله (أولئك هم الخاسرون).[٢٧]

كما نقل الطبري عن قتادة أنه قال لما ذكر الله العنكبوت والذباب في الكتاب الكريم قال المشركون باستغراب واندهاش: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فما فوقها).[٢٨] ونقل الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى (فما فوقها) قولان، أحدهما فما دونها في الصغر والحقارة كما إذا وصف رجل باللؤم والشح، فيقول السامع نعم وهو فوق ذلك، يعني فيما وصفت، وفي الحديث النبوي الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم: لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء،[٢٩] والثاني: فما فوقها فما هو أكبر منها لأنه ليس شيئ أحقر ولا أصغر من البعوضة.[٣٠]

ثالثا – التفسير العلمي للآية

البعوض هو من عجائب خلق الله تعالىفإنه صغير جدا وخرطومه في غاية الصغر، ثم إنه مع ذلك مجوف ثم ذلك الخرطوم مع فرط صغره وكونه جوفا يغوص في جلد الفيل والجاموس على ثخانته، وذلك لما ركب الله في رأسه خرطومه من السم.[٣١] كما بيّن الألوسي بأن البعوضة تمتاز بصغر حجمها وضعف بنيانها ولها من حسن التأليف ودقيق الصنع من اختصار الخصر ودقة الخرطوم ولطيف تكوين الأعضاء ولين البشرة ما يعجز

---

[٢٦] أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت. ٥٠٢ هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسوني، ط ١، ج ١، (الرياض: دار الوطن، ١٩٩٩ م)، ١٢٨.

[٢٧] أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ط ١، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ)، ٣٩٩.

[٢٨] نفس المرجع.

[٢٩] محمد بن عيسى بن موسى الضحاك الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، *سنن الترمذي*، ج ٤، ط ٢، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد عبد الباقي، (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي، ١٩٧٥ م)، ٥٦٠.

[٣٠] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، *تفسير القرآن العظيم*، ج ١، ط ٢، تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ)، ٢٠٧.

[٣١] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، *مفاتيح الغيب*، ط ٣، ج ٢، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ)، ٣٦٤.

أن يحاط بوصفه وهي على الرغم من صغر حجمها ولينها إلا أنها مع ذلك تبضع بشوكة خرطومها جلد الجاموس والفيل وتهتدي إلى البشرة بكل يسر وسهولة.[٣٢]

ومن أول من أشار إلى قضية الإعجاز في قوله تعالى (فما فوقها) محمد رشيد رضا حيث قال إن المراد بما فوق البعوضة ما علاها وفاقها في مرتبة الصغر ومنها الميكروبات التي لا ترى إلا بالنظارات المكبرة والمجاهر المطورة. وقد أكّد المراغي على ما ذكره محمد رشيد رضا فقال إن المراد بما فوق البعوضة: ما زاد عليها وفاقها في الصغر كالجراثيم التي لا ترى إلا بالمنظار المكبر والعدسات المكبرة.[٣٣] وأضاف الشعراوي عنجسم البعوضة فقال إن البعوضة لها أجنحة وأرجل ودورة تناسلية وهي ذات حجم دقيق وضع الله سبحانه وتعالى كل الأجهزة اللازمة لها في حياتها، فلها عينان ولها خرطوم دقيق جدا ولكنه يستطيع أن يخرق جلد الإنسان ويخرج الأوعية الدموية التي تحت الجلد ليمتص دم الإنسان ولها كل ما يلزم لحياتها.[٣٤]

كما بيّن الإمام السمرقندي بأن البعوضة إذا شبعت ماتت وتبقى على قيد الحياة ما دامت جائعة وضربها الله مثالا لأن خلقتها أعجب من خلق الفيل، فهي إذا جاعت عاشت وإذا شبعت ماتت وانتهت دورة حياتها.[٣٥] أما الطاهر بن عاشور فقد أشار إلى أن هذه الحشرة الصغيرة التي أودع الله فيها القدرة على امتصاص الدم من جنس الإنسان بحيث تتغذى عليه هي حشرة صغيرة طائرة ذات خرطوم دقيق تحوم على الإنسان لتمتص بخرطومها من دمه غذاء لها، يساعدها على البقاء على قيد الحياة فترة أطول.[٣٦]

مما سبق يلاحظ الباحث بأن كتب التفسير القديمة والحديثة أشارت ولو بشكل بسيط – حسب ما توفر لكل مفسر من أدوات وأبحاث وعلوم – إلى قضية الإعجاز في ذكر الله للبعوضة من حيث طبيعة جسمها وتركيبه وألية امتصاصها لدم الإنسان حتى تتغذى عليه وغير ذلك مما سيبينه الباحث من إعجاز علمي في ذكر الله لها وكذلك الوقوف على رأي العلم في هذه الحشرة الصغيرة الملئية بالدلائل والأيات المعجزة الباهرة الدالة على على عظمة خلق الله.

رابعا – الحقائق العلمية في جسم البعوضة

البعوضة في رأسها مئة عين وثلاثة قلوب في صدرها، قلب مركزي وقلب في كل جناح وفي كل قلب أذنان وبطنان ودسامان، وهي لا برى الأشياء بشكلها

[٣٢] محمد بن يوسف بن علي بن حيان (ت ٧٤٥ هـ)، *البحر المحيط*، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠ هـ)، ٢٠٠.

[٣٣] أحمد بن مصطفي المراغي (ت. ١٣٧١ هـ)، *تفسير المراغي*، ط ١،ج ١، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٤٦ م)، ٧٠.

[٣٤] محمد متولي الشعراوي (ت. ١٤١٨ هـ)، *تفسير الشعراوي*، ج ١، (مصر: مطابع أخبار اليوم، بدون سنة)، ٢١١.

[٣٥] أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت. ٣٧٣ هـ)، *تفسير السمرقندي (بحر العلوم)*، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩٣ م)، ٣٧.

[٣٦] محمد الطاهر بن محمد التونسي بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)، *التحرير والتنوير*، ط ١، ج ١، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م)، ٣٦٢.

DOI: 10.15408/iu.v7i1.14046

أو بحجمها إنما تراها بحرارتها فقط فهي تمتلك جهاز استقبال حراري حساسيته عالية جدا تبلغ واحد على ألف من الدرجة المئوية تستقبل من خلاله الصور بحرارتها وهي تمتلك جهازا لتحليل الدم حيث تقوم بتحليل الدم، فما كان دم يناسبها فقد ينام شخصان في مكان واحد يستيقظ الأول وما به شيئ ويستيقظ الأخر وقد ملئ جسمه بلسعات البعوض.[٣٧]

وتمتلك البعوضة أيضا جهاز تخدير فهي تقوم بتخدير الشخص قبل أن تبدأ بعملية الإمتصاص، فبعد أن يتوهم الشخص بأنه قتلها أو أبعدها عنه تكون هي تقوم بعملها بامتصاص دمه، وبداخلها أيضا جهاز لتمييع الدم، فالدم اللزج قد لا يمر في خرطومها، لأن خرطومها دقيقجدا فلا بد من تمييع الدم حينها، وخرطومها فيه ست سكاكين، أربع منها تحدث الجرح على شكل مربع، وسكينان أخران يلتئمان على شكل أنبوب لامتصاص الدم من جسد الإنسان وهي تمتلك محاجم على أساس ضغط الهواء، فعندما تقف على سطح أملس تقف بمحاجمها، أما إن أرادت أن تقف على سطح خشن فتستخدم خالبها، وهي تشم رائحة عرق الإنسان على بعد ستين كيلو متر تقريبا وأجنحتها ترف بشكل كبير جدا قد يصل إلى ألاف المرات في الثانية الواحدة، وهذا كله استطاع العلماء رؤيته من خلال المجاهر الإلكترونية التي تكبر الشيئ أربعين ألف مرة عن حجمه الطبيعي.[٣٨]

وتعد البعوضة من أخطر أنواع الحشرات التي تعيش على وجه الكرة الأرضية فهي تساهم في نقل مرض الملاريا إلى ملايين البشر والذي يسبب الموت في النهاية كما أن أنواعها كثيرة جدا فهناك أكثر من ألفي نوع من أنواع البعوض حول العالم وتتفوق على جميع الحشرات بأنها مصاصة دماء من الطراز الأول. وقد أثبت العلم الحديث بأن أنثى البعوض هي وحدها التي تتغذى على الدم وتقوم بامتصاصه وتنقل الأمراض من خلالها ولا علاقة للذكر في ذلك حيث ليس للذكر أجزاء ثاقبة للجلد، وهذا يتناسب تماما مع الوصف القرآني الدقيق حيث ذكر الله هذه الحشرة بالتأنيث فقال: (بعوضة)، ولم يقل: (بعوض)، إشارة بأن البعوضة هي التي تحتوي على الدلائل الباهرة في إعجاز الله.

في هذه الصورة يلاحظ الباحث بأن هناك حشرة صغيرة تعيش على ظهر البعوضة وتتغذى على دمها، وفي الصورة التي تليها سنلاحظ هذه الحشرة التي تعيش فوق جسم البعوضة عندما تكبر الصورة بدقة بالغة وهذا مصداقا لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا).

وهكذا، لقد ثبت من خلال ما تم تناوله بأن الله عز وجل لم يذكر البعوضة عبثا وإنما ليبين لنا عظمة هذا

[٣٧] محمد راتب النابلسي، "موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية"، ملخص محاضرة إذاعية أجريت معه بتاريخ ١-١١-٢٠٠٣

[٣٨] نفس المرجع.

المخلوق الذي يظنه الناس مخلوقا تافها صغيرا كما كان المشركون يعترضون على ذكر الله لهذه الحشرات ويعتبرونها قدحا يقلل من قيمة هذا الكتاب الكريم لكن العلم جاء وأكّد بما جاء به القرآن الكريم، وقد لوحظ مما سبق بأن البعوضة تحتوي على عظيم الدلائل التي تشير إلى عظمة الخالق جل جلاله، فقد أودع الله بها من آياته وقدرته ما تتحير به العقول وتتيح في جمال تناوله الأنفس.

ويرى الباحث أن البعوض يُعرف عمومًا باسم الحشرات الماصة للدم ويعيش على الدم الذي يمتصه، ولكن للأسف الشديد أن هذه المعلومات ليست صحيحة. لأن أنثى البعوض فقط تمتص الدم. لا تمتص الدم لتؤكل، لأن غذاء البعوض بشكل عام هو جوهر الزهور. أنثى البعوض تمتص الدم لأنها تضع البيض، والبيض يحتاج إلى بروتين لينمو. وهكذا يحافظ البعوض على استمرارية جيلهم بهذه الطريقة. البعوض هو أحد الحيوانات المذكورة في القرآن الكريم كما جاء في سورة البقرة الآية ٢٦. وتبين هذه الآية مدى أهمية البعوض كمثل. يكشف العلم الحديث عن أشياء كثيرة عن البعوض لا يمكن الوثوق بها من قبل العقل البشري.

الإعجاز العلمي في مطالع الشمس ومغاربها

قال تعالى: ولله المشرق والمغرب فأينما تولول فثم وجه الله إن الله واسع عليم.[٣٩]

ينبغي التنبيه هنا إلى أن الإشارة إلى المشرق والمغرب وردت في آيتين أخريين في الجزء الثاني في الآية ١٤٢ و ١٧٦، لكن الباحث أثر الكتابة عنهما بما أن أول أية من الأيات الثلاثة التي أشارت إلى مطالع الشمس ومغاربها هي في الجزء الأول من هذه السورة.

أولا – معنى مفردات الآية

ولله المشرق والمغرب: عندما يأتيان بلفظ الواحد فالمقصود يكون إشارة إلى ناحية الأرض أو إلى مطلع الشمس والمغيب، أما عندما يأتيان بلفظ التثنية فهما يشيران إلى مشرقي ومغربي الشتاء والصيف، أما عندما يأتيان بلفظ الجمع فاعتبارا باختلاف المغارب والمطالع كل يوم،[٤٠] فأينما تولوا فثم وجه الله: اى فاقصدوا وجه الله، عندما تؤدوا صلاتكم وعبادتكم باتجاه القبلة،[٤١] فثمّ: فيها إشارة إلى مكان منزاح وبعيد عنك، وجه الله: الوجه يقصد به عندما يطلق مستقبل كل شيئ،[٤٢] إن الله واسع عليم: الواسع هو الذي وسع رزقه جميع خلقه ووسعت رحمته كل شيئ في السماوات والأرض ووسع غناه كل فقر،[٤٣] عليم: على وزن فعيل، وتعني أن الله

[٣٩] سورة البقرة أية ١١٥.

[٤٠] أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت. ٥٠٢ هـ)، *تفسير الراغب الأصفهاني*، تحقيق: محمد عبد العزيز بسوني، ط ١، ج ١، (الرياض: دار الوطن، ١٩٩٩ م)، ٢٩٨.

[٤١] أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت. ٣١١ هـ)، *معنى القرآن وإعرابه*، ط ١، ج ١، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨ م)، 197.

[٤٢] محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي (ت. ١٢٠٥ هـ)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، (الإسكندرية: دار الهداية للنشر والتوزيع، بدون سنة)، ٥٣٥.

[٤٣] محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ)، *لسان العرب*، ج ٧، ط ٣. (بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ)، ٣٩٢.

DOI: 10.15408/iu.v7i1.14046

يعلم كل خافية في السماوات والأرض أحاط علمه بجميع الأشياء ظواهرها وبواطنها دقيقها وجليلها.[٤٤]

ثانيا – تفسير الآية بالمأثور

نقل الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية عن ابن عباس قوله: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة والسبب هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهل المدينة المنورة من اليهود أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب قبلة إبراهيم عليه السلام، فكان يدعو وينظر إلى السماء فأنزل الله تبارك وتعالى: قد نرى تقلب وجهك في السماء[٤٥] إلى قوله: فولّوا وجوهكم شطره،[٤٦] فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها،[٤٧] فأنز الله عز وجل: قل لله المشرق والمغرب.[٤٨]

وقد ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته حيثما توجهت به ثم قال عبد الله بن دينار بعد سرد الرواية: وقد كان ابن عمر يفعل ذلك اقتداء برسوله عليه الصلاة والسلام.[٤٩]

ثالثا – التفسير العلمي للآية

ذكر ابن حيان الأندلسي في تفسيره لهذه الآية أن الله يتولى إشراق الشمس من مشرقها وإغرابها من مغربها وإفراده للشرق والغرب كان باعتبار الناحية التي تطلع منها الشمس كل يوم وتغيب، وأما عندما تأتي في صيغة الجمع فهذا الإعتبار اختلاف المطالع والمغارب كل يومخلال السنة، وأخيرا عندما تأتي في صيغة التثنية فهذه إشارة إلى مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما.[٥٠] كما وذكر الألوسي بأن المقصود من الآية الكريمة بالمشرق والمغرب هما الناحيتان المعلومتان المجاورتان لنقطة تطلع منها الشمس وتغرب، وكأن من يملك الشرق والغرب يكون هو من يملك السماوات والأرض فعلا.[٥١]

وقد أشار ابن عاشور إلى معنى جديد من حيث التقسيم الإعتباري والتقسيم الذاتي للأرض فقال إن المراد من المشرق والمغرب في الآية هو تعميم جهات الأرض كلها لأنها تنقسم بالنسبة إلى مسرار الشمس قسمين: قسم يبتدئ من حيث تطلع الشمس وقسم ينتهي في حيث تغرب، وهو تقسيم اعتباري لأنه المبني

---

[٤٤] المرجع السابق، ٤١٦.

[٤٥] سورة البقرة أية ١٤٤.

[٤٦] سورة لبقرة أية ١٤٤–١٥٠.

[٤٧] سورة البقرة أية ١٤٢.

[٤٨] أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي الطبري (ت. ٣١٠ هـ)، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ط ١، ج ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ)، ٥٢٧.

[٤٩] أبو الحسن مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ)، *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون سنة)، ٤٨٧.

[٥٠] محمد بن يوسف بن علي بن حيان (ت ٧٤٥ هـ)، *البحر المحيط*، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠ هـ)، ٥٧٧.

[٥١] شهاب الدين السيد محمود الألوسي، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، ج ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون سنة)، ٣٦٣.

على المشاهدة مناسب لجميع الناس، والتقسيم الذاتي للأرض هو تقسيهما إلى شمالي وجنوبي لأنه تقسيم ينبنى على اختلاف أثار الحركة الأرضية.[٥٢]

وجاء الإمام الشعراوي وأكّد ما قاله ابن عاشور بأنه إذا قال الله تعالى (ولله المشرق والمغرب) فهذا لا يعني تحديد جهة الشرق أو جهة الغرب فقط، ولكنه يتعداها إلى كل الجهات شرقها وغربها شمالها وجنوبها والشمال الشرقي والجنوب الغربي وكل جهة تفكر فيها، وسبب ذكر الآية الشرق والغرب فقط لأن كل الجهات تحدد بشروق الشمس وغروبها فهناك شمال شرقي وجنوب شرقي وشمال غربي وجنوب غربي.[٥٣]

رابعا – الحقائق العلمية في مطالع الشمس ومغاربها

ذكر خالد بن حمزة مدني في بحثه المنشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة عدة معلومات تتعلق بمشرق ومغربها فقال إن ذكر الشروق والغروب في هذه السورة الكريمة جاء في صيغة المفرد، وهذا يشير إلى حالة خاصة ثابة في مكان ما وزمان ما، ففي كل لحظة تشرق الشمس على بقعة ما وتغرب عن بقعة أخرى، وكل الناس الموجودين في هذه البقع سيعيشون في وقت واحد لحظة الشروق والغروب. أما الحكمة من ذكر المشارق والمغارب في قوله تعالى في سورة المعارج: فلا أقسم بربّ المشارق والمغارب إنّا لقادرون،[٥٤] فيقول خالد بن حمزة المدني: جاءت صيغة الجمع إشارة على وجود مستمر لمشارق ومغارب متعددة على هذه الأرض وبما أن عملية الشروق والغروب مستمرة عبر المكان والزمان، فهذا يدل بشكل تلقائي على أن شكل الأرض كروي، وثانيا على أن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس.

ويقول الدكتور زغلول النجار في تفسيره للآيات الكريمة التي تخصص المشرق والمغرب بالإفراد أو التثنية أو الجمع بأن للأرض مشرقا حقيقيا واحدا ومغربا حقيقيا واحدا يتعامد الخط الواصل بينهما على خط الشمال والجنوب الحقيقيين، والشمال الحقيقي يحدده لنا ربنا بواسطة النجم القبطي الذي يبدو ثابتا في مكانه بالنسبة للأرض والناتج عن دوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق دورة كاملة كل ٢٤ ساعة في زماننا الراهن.[٥٥] ويكمل الدكتور زغلول إن كل مشرق يتحول مباشرة إلى مغرب بمجرد غروب الشمس عنه، وبسبب ذلك أصبح للأرض مشرقان حقيقيان ومغربان حقيقيان وهما أقصى زمانين ومكانين لكل من شروق الشمس وغروبها على أقصى بقعتين متقابلتين من بقاع الأرض تمثل كل منهما مرة أقصى الشرق ومرة أقصى الغرب.[٥٦]

---

[٥٢] محمد الطاهر بن محمد التونسي بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)، *التحرير والتنوير*، ط ١، ج ١، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م)، ٦٨٢.

[٥٣] محمد متولي الشعراوي (ت. ١٤١٨ هـ)، *تفسير الشعراوي*، ج ١، (مصر: مطابع أخبار اليوم، بدون سنة)، ٥٤٢.

[٥٤] سورة المعارج أية ٤٠.

[٥٥] زغلول النجار، "من أسرار القرآن"، مقالة علمية نشرت له على موقع صحيفة الأهرام المصرية بتاريخ ١٢-٠٢-٢٠٠٧.

[٥٦] نفس المرجع.

DOI: 10.15408/iu.v7i1.14046

أما في تعدد المشارق والمغارب فيقول الدكتور زغلول النجار إنه وبسبب دوران الأرض حول محورها دورة كاملة كل ٢٤ ساعة في زماننا الراهن يتحدد يوم الأرض الذي يتقاسمه الليل والنهار بشيئ من التفاوت، وتبادل الليل والنهار يظهر على خط العرض الواحد بلايين المشارق والمغارب، ويتضاعف عدد المشارق والمغارب إلى بلايين البلايين إذا تحركنا مع خطوط الطول والعرض معا وذلك لأن الأرض تدور حول محورها دورة كاملة اى ٣٦٠ درجة كل ٢٤ ساعة، وبذلك ينتقل ضوء الشمس ١٥ درجة من درجات خطوط الطول في كل ساعة من الشرق إلى الغرب، ويضاف هذا الفرق إذا كان الموقع في نصف الكرة الأرضية الشرقي ويطرح إذا كان في نصفها الغربي.[٥٧]

تبين لنا مما سبق بأن الله سبحانه وتعالى عندما أفرد بالذكر المشرق والمغرب في أيات سورة البقرة وغيرها فهو يشير إلى مطلع الشمس ومغربها في كل يوم، وعندما يخصهما بالتثنية فهو إشارة إلى أن كلا منهما (الشرق والغرب) يتحولان بسبب دوران الأرض مرة إلى أقصى الشرق ومرة إلى أقصى الغرب في أقصى بقعتين أما عندما يخصهما بالجمع كما في سورة المعارج فهي إثبات لما أكّده العلم من تضاعف عدد المشارق والمغارب بلايين المرات بعدد أيام السنة وعدد ساعات كل يوم منذ أن أوجد الله هذا الكون وحتى قيام الساعة، وبهذا يتبين لنا بأن القرآن الكريم ومن خلال أياته الكريمة أشار إلى تعدد مطالع الشمس ومغاربها قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام، وجاء العلم الحديث ليثبت ويؤكد صحة ما قله المولى جل جلاله في كتابه العظيم.

الإعجاز العلمي في تحريم معاشرة النساء أثناء المحيض

قال تعالى: ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهّرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.[٥٨]

أولا – معنى مفردات الآية

المحيض هو الحيض وهو الدم الذي يسيل من رحم المرأة في أيام معلومة كل شهر والإستحاضة تطلق على الدم أن استمر نزوله بعد الأيام المعلومة للحي،[٥٩] وقيل إن المحيض في هذه الآية المأتي من المرأة الذي تؤتي منهلأنه موضع الحيض فكأنه قال اعتزلوا النساء في موضع الحيض ولا تجامعوهن في ذلك المكان للأذى المترتب على ذلك،[٦٠] فاعتزلوا: الإعتزال أصله من العزل وهو العدول على فعل الشيئ أو هو صرف العامل عن

[٥٧] نفس المرجع.

[٥٨] سورة البقرة أية ٢٢٢.

[٥٩] إبراهيم مصطفي و أخرون، *المعجم الوسيط*، ج ٢، (القاهرة: دار الدعوة، بدون سنة)، ٢١٢.

[٦٠] محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ)، *لسان العرب*، ج ٧، ط ٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ)، 142.

عمله أو فعله،[٦١] ولا تقربوهن: او لا تباضعوهن ولا تأتوهن من الفرج ،[٦٢] حتى يطهرن: اى حتى يغتسلن بالماء بعد انقطاع الدم عن مكان الحيض.[٦٣]

ثانيا – تفسير الآية بالمأثور

نقل الإمام الطبري عن قتادة قوله: كان أهل الجاهلية لا تساكنهم حائض في بيت فأنزل الله تعالى ذكره في ذلك فحرم فرجها مادامت حائضا وأحل ما سوى ذلك أن تصبغ لك رأسك وتؤاكلك من طعامك وأن تضاجعك في فراشك إذا كان عليها إزار محتجزة به دونك.[٦٤] وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت فأنزل الله تعالى: ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض[٦٥] إلى أخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصنعوا كل شيئ إلا النكاح.[٦٦] تقول زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كان إحدانا إذا كانت حائضا أمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تأتزر في فور حيضتها ثم يباشرها قالت وأيّكم يملك إربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك إربه.[٦٧]

يتبين مما سبق أحاديث أن المسلم مطالب بعدم المجامعة لزوجته إلا أن تكون لابسة إزارها، كما ورد من أثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجاته ويحرم عليه أن يأتيها كما في أي وقت أخر وأن يجامعها ويدخل بها، لأن ذلك يترتب عليه حصول الضرر الكبير له ولها .

ثالثا – التفسير العلمي للآية

ذكر محمد رشيد رضا بأن النهي عن مواقعة الزوجة هي حائض فيه مصلحة للزوج والزوجة على حد سواء، وقال إن المعنى من النهي الوارد في الآية هو منع الرجال من غشيان نسائهم وقت المحيض لما فيه من ضرر وأذى على الطرفين وضرره على المرأة أذد وأعتى لأنه يزعج أعضاء النسل عندها إلى ما ليست مستعدة له أو قادرة عليه ويشغلها عن وظيفتها الرئيسية من إفراز الدم المعروف.

وبيّن ابن عاشور بأن الأذى المتحقق من وراء مجامعة الرجل لزوجته دون أن ترتدي إزارا يشمل الرجل والمرأة والولد فأذى الرجل يتمثل بالقذارة والدم السائل من عضو التناسل للمرأة يشتمل على بويضات دقيقة

---

[٦١] أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، *تفسير الراغب الأصفهاني*، تحقيق: محمد عبد العزيز بسوني، ط ١، ج ١، (الرياض: دار الوطن، ١٩٩٩ م)، ٤٥٦.

[٦٢] محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ)، *لسان العرب*، ج ٧، ط ٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ)، ٤٥٧.

[٦٣] أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت. ٣١١ هـ)، *معنى القرآن وإعرابه*، ط ١، ج ١، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨ م)، ٢٩٧.

[٦٤] أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي الطبري (ت. ٣١٠ هـ)، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ط ١، ج ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ)، 373.

[٦٥] سورة البقرة أية ٢٢٢.

[٦٦] أبو الحسن مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ)، *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون سنة)، ٢٤٢.

[٦٧] نفس المرجع.

DOI: 10.15408/iu.v7i1.14046

يكون منها تخلق الأجنة بعد انتهاء الحيض، فإذا انغمس في الدم عضو التناسل في الرجل يتسرب إلى قضيبه شيئ من ذلك الدم بما فيه فربما احتبس منه جزء في قناة الذكر فاستحال إلى عفونة تحدث أمراضا معضلة.[٦٨]

هذا الضرر بالنسبة للجل، أما بالنسبة للزوجة والولد فإن الضرر أبلغ وأشد، يكمل ابن عاشور قوله: وأما أذى المرأة فلأن عضو التناسل منها حينئذ بضدد التهيؤ إلى إيجاد القوة التناسلية فإذا أزعج كان إزعاجا في وقت اشتغاله بعمل فدخل عليه بذلك مرض وضعف، وأما الولد فإن النطفة إذا اختلطت بدم الحيض أخذت البويضات فى التخلق قبل إبان صلاحيتها التخلق النافع والأطباء يقولون إن الجنين المتكون في وقت الحيض قد يجيئ مجذوما أو يصاب بالجذام من بعد. ما أشار إليه ابن عاشور أكّده الشعراوي فقال إن الحيض يعطي قذارة للرجل في مكان حساس هو موضوع الإنزال عنده فإذا وصلت إليه الميكروبات تصيبه بأمراض خطيرة ثم إن الحيض يصيب المرأة بأضرار بالغة من ناحية القوة والمرونة في جسدها، ولذا فإن الله حرم عليها الصيام والصلاة أثناء فترة الحيض لأنها تكون متعبة وفي حالة إرهاق شديد، ولا يجوز للرجل أن يزيد تعبها وضعفها أكثر مما هي عليه.[٦٩]

رابعا – الحقائق العلمية في تحريم معاشرة النساء أثناء فترة الحيض

أثناء مرور المرأة بمرحلة الحيض يكون غشآء الرحم عندها متقرحا والجلد مسلوخا ومقاومة الرحم والدم الذي به للميكروبات والبكتيريا تكون في أضعف حالاتها كما أن المواد المطهرة الموجودة في المهبل تكون في أدنى وأضعف مستوى لها ثم إن الميكروبات الموجودة على سطح قضيب الرجل تشكل خطرا كبيرا على رحم المرأة، لذا فإن إدخال القضيب إلى المهبل أثناء هذه الفترة ليس سوى إدخال للميكروبات والمواد الضارة في وقت لا تستطيع أجهزة الدفاع عند المرأة أن تقاوم والضرر يمتد ويتوسع عند المرأة نتيجة ذلك بشكل متسارعومخيف، حيث من الممكن أن تمتد الإلتهابات إلى المثانة ثم إلى الكلي، وتتسبب في أمراض للجهاز البولي خطيرة ومزمنة، هذا بالنسبة للمرأة. أما الرجل فبمجرد إدخاله للقضيب تتجمع وتتكاثر الميكروبات التي تكون في الدم داخل مهبل المرأة عليه وتكون سببا في التهاب قناة مجرى البول لديه.[٧٠]

يرى قسطاس النعيمي بأن وجود رغبة لدى الرجل بإتيان زوجته أثناء فترة الحيض إنما هي رغبة بهيمية شاذة بعدما ثبت بالقرآن والأحاديث والطب الحديث خطر إتيان ومجامعة الزوجة دون أن تكون مرتدية إزارا بل إن

---

[٦٨] محمد الطاهر بن محمد التونسي بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)، *التحرير والتنوير*، ط ١، ج ١، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م)، ٣٦٦.

[٦٩] محمد متولي الشعراوي (ت. ١٤١٨ هـ)، *تفسير الشعراوي*، ج ١، (مصر: مطابع أخبار اليوم، بدون سنة)، ٩٦٦.

[٧٠] محمد علي البار، *خلق الإنسان بين الطب والقرآن*، ط ٨، (جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٩١ م)، ١٠١-٤.

الكثير من ذكور الحيوانات تختار مواسم ملائمة حتى تقترب من الأنثى وتجامعها فمن يتجرأ من الناس على فعل هذا الأمر يكون قد خالف فطرة موجودة في جميع الكائنات الحية التي خلقها الله وأودع هذه الفطرة فيها، يقول: إنه يمكن لكل من حباه الله قدرا من الحس والأدمية أن يدرك بوضوح أن الرغبة في إتيان المرأة وقت حيضها إنما هي رغبة بهيمية شاذة بل هي أدنى وأحط إذ قد ثبت أن ذكور الحيوانات تتخير المواسم الفطرية الملائمة لقربان الأنثى وعلم أيضا أن الوطء فترة الحيض لا يمكن مطلقا أن ينتج حملا لأن عملية التبويض لا تكون إلا قبل الحيض بأسبوعين كاملين تقريبا وفوق هذا وذاك فإن الوطء أثناء الحيض هو في الحقيقة إدخال للجراثيم إلى الرحم في وقت تكون فيه الأجهزة الدفاعية لدى المرأة في حالة ضعف وخمول بحيث لا تستطيع المقاومة المطلوبة.

بل إن أثر الجماع أثناء فترة الحيض له أثار خطيرة تتعلق بمنع حدوث حمل في المستقبل وحصول عملية إجهاض لأن الحيوانات المنوية عندما تدخل إلى جدار الرحم وتختلط بالدم فإن جهاز المناعة في جسم المرأة يقوم بإفراز أجسام مضادة للحيوانات المنوية وهذا يكون سببا في عملية الإجهاض وعدم حصول حمل في المستقبل.

وهكذا، نرى أنه قد أثبت جميع الأبحاث الطبية والتحاليل المخبرية والدراسات الحديثة صحة ما حرّمه الله قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام من تحريم الجماع أثناء الحيض وأجاز الباشرة بالشرط الذي بيّنه الرسول صلى الله عليه وسلم من لبس المرأة للإزار أي يشترط عدم الإدخال في فرج المرأة حتى لا يكون أذى له ولها وهذا دليل أخر على أن القرآن إنما هو وحي يوحى من عند الله ودليل على إعجاز القرآن لسبقه العلم في تحديد الأذى والمضار المترتبة على معاشرة الرجل لزوجته أثناء فترة الحيض.

الإعجاز العلمي في الرضاع الطبيعي للطفل

قال تعالى: وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.[٧١]

أولا – معنى مفردات الآية

الرضاعة من الإرضاع والمرأة المرضع هي التي تقوم بالإرضاع سواء كان لها ولد أو ليس لها ولد،[٧٢] حولين:

[٧١] سورة البقرة أية ٢٣٣.

[٧٢] محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ)، *لسان العرب*، ج ٧، ط ٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ)، ١٢٧.

DOI: 10.15408/iu.v7i1.14046

الحول يطلق على الحيلة أو القوة أو السنة وفي هذه الأيات يقصد به السنة،[٧٣] التكليف: الأمر الذي يكون فيه مشقة وعلى خلاف العادة.[٧٤] لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ: اى لا يجوز للمرأة أن تترك إرضاع الطفل أو تؤذيه نتيجة غضبها وغيظها من أبيه وكذلك لا يجوز للأب أن يحرم الطفل من أمه بسبب غضبه منها ومشاكله معها،[٧٥] فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا: اي إن اتفق وتشاور الزوج والزودة على فطام المولود قبل الحولين،[76] وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ: اي إذا امتنعت الأم عن الرضاع لأي سبب أو تزوجت فليس هناك مشكلة في أن يسلم المولود إلى امرأة مرضع غير أمه حفاظا على صحة المولود.[٧٧]

ثانيا – تفسير الآية بالمأثور

ورد في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان عندها وإنها سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة قالت عائشة فقلت يا رسول الله هذا رجل يستأذن في بيتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أراه فلانا لعم حفصة من الرضاعة فقالت عائشة يا رسول الله لو كان فلان حيا لعمها من الرضاعة دخل علي؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة.[٧٨]

ويؤيد هذا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري عندما امتنع عن الزواج بابنة عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وعلّل ذلك بأنها ابنة أخيه من الرضاعة فلا تحل له لأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.[٧٩] ونقل الطبري عن الإمام سفيان الثوري قوله في تفسير هذه الآية بأن للمولود الحق في أن يرضع عامين كاملين فإن أراد الأب أن يفطمه قبل العامين ولم ترض الأم فلا يجوز له ذلك وإن أرادت الأم فطامه ولم يرض الأب فلا يجوز لها ذلك أيضا، لأن الله ربط الأمر بشرط التشاور والإتفاق فيما بينهم فإن اجتمع كلاهما على أمر الفطام فطامه لكن إن لم يتفقا فلا يحق لأحد منهما أن يفطم هذا المولود قبل العامين (الطبري ١٤٢٠ هـ، ٣٥).[٨٠] وقد كان عبد الله بن عباس وابن عمر يقولان بأنه لا رضاع بعد الحولين، أما علقمة فقد كان يقول للمرأة إذا رأها ترضع بعد الحولين لا ترضعيه وينهاها عن ذلك بل إن ابن عباس كان يقول

---

[٧٣] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، *مفاتيح الغيب*، ط ٣، ج ٢، (بيروت: دار إحياء التراث العرب، ١٤٢٠ هـ)، ٨٤.

[٧٤] محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي (ت. ١٢٠٥ هـ)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، (الإسكندرية: دار الهداية للنشر والتوزيع، بدون سنة)، ٣٢٣.

[٧٥] أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت. ٣١١ هـ)، *معنى القرآن وإعرابه*، ط ١، ج ١، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨ م)، ٣١٣.

[76] أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت. ٥٠٢ هـ)، *تفسير الراغب الأصفهاني*، تحقيق: محمد عبد العزيز بسوني، ط ١، ج ١، (الرياض: دار الوطن، ١٩٩٩ م)، ٤٨٣.

[٧٧] المرجع السابق، ٤٨٤.

[٧٨] أبو الحسن مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ)، *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي. بدون سنة)، ١٠٦٨.

[٧٩] محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، *صحيح البخاري*، تحقيق: محمد زهير بن ناصر النصر، (لبنان: دار طوق النجاة، ٢٠٠١ م)، ١٧٠.

[٨٠] أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي الطبري (ت. ٣١٠ هـ)، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ط ١، ج ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ)، ٣٥.

لا رضاع إلا في هذين الحولين وبعد الحولين لا يحرم الرضاع شيئا.[٨١]

ثالثا – التفسير العلمي للآية

بيّن الله بأن الطفل لابد له من الرضاع الطبيعي لفترة سنتين أو أقل مراعاة للفطرة التي فطر الله الأطفال عليها حيث إنهم بحاجة في أيامهم الأولى من حياتهم إلى غذاء صحي متوازن شامل لكل المواد المفيدة لهم حتى يكتمل نموهم بشكل طبيعي ويمتلكوا صحة تامة من خلال إرضاعهم رضاعة طبيعية فقد ثبت طبيا بأن أفضل اللبن للطفل هو لبن الأم اي اللبن الطبيعي وهو يساهم في نشوز العظم وتكوّن اللحم بعد ذلك ويؤثر على نفسية وسلوك وسجايا الطفل في المستقبل وإن رأى الوالدان بأن نمو الطفل يكون بشكل سريع وأن بإمكانه بعد عدة أشهر فقط من ولادته أن يستغني عن الرضاعة ويبدأ بالأكل فهذا متروك لهما إن اتفقا على ذلك ورأوا فيه مصلحة لنمو وصحة الطفل.

وقد ذكر ابن عاشور بأن الأطباء مجمعون على أنه لا أصلح لصحة الطفل ونموّه من الحليب الطبيعي مع أنهم استحدثوا حاليا حليبا صناعيا لكنهم يؤكدوا عدم حاجة الطفل له إلا في حال كان هناك مرض عند الأم أو كان حليبها غير مستوف لكل الأجزاء الغذائية التي يحتاجها الطفل في مرحلة نموّه، وتكون أعضاؤه بحيث يؤثّر سلبا على صحة المولود لكن الحليب الصناعي يحتاج إلى حذر كبير كي يُتأكّد من صلاحيته وعدم فساده وعفونته على عكس الحليب الطبيعي تماما.[٨٢] أما الشيخ الشعراوي فقد رأى بأن الآية تدل على عظمة رحمة الله بنا فالآية تتحدث عن إرضاع الطفل ووجوب النفقة عليه والعناية به حتى في حال وصل الأمر إلى الطلاق بينهما فبالرغم من ذلك فإنه يبقى هناك واجب على الأم بإرضاع الطفل رضاعة طبيعية كي يتكوّن جسمه بصورة صحية كغيره من الأطفال ولا ينشأ عنده اي عقد نفسية وألام معنوية وأثار سلبية عميقة عنده وواجب على الأب يتمثل في النفقة والكسوة على الأم والإبن.[٨٣]

رابعا – الحقائق العلمية في الرضاع الطبيعي للطفل

الرضاعة الطبيعية هي أفضل أنواع الغذاء على الإطلاق بالنسبة للطفل وجميع أنواع الغذاء الأخرى لا يمكن أن تضاهي أو تساوي الفائدة الحقيقية التي تحصل للطفل بسبب الرضاعة من أمه حيث إن حليب الأم يحتوي على نسب طبيعية من البروتينات والسكر والدسم متناسبة تماما مع جسم وطبيعة الطفل وهذه النسب لا يمكن التحكم بها من خلال حليب البقر أو أيّ نوع أخر من أنواع الحليب. كما أن حليب الأم يحتوي على أجسام مضادة للبكتيريا والفيروسات

[٨١] المرجع السابق، ٣٦.

[٨٢] محمد الطاهر بن محمد التونسي بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)، *التحرير والتنوير*، ط ١، ج ١، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م)، ٤٣١.

[٨٣] محمد متولي الشعراوي (ت. ١٤١٨ هـ)، *تفسير الشعراوي*، ج ١، (مصر: مطابع أخبار اليوم، بدون سنة)، ١٠٠٧.

DOI: 10.15408/iu.v7i1.14046

بأنواعها المختلفة والتي تضر ضررا كبيرا بصحة الطفل لو لم يتغذى على حليب أمه وقد وجد العلماء أن كمية البكتيريا الموجودة في جسد وأمعاء الطفل الذي يرضع من ثدي أمه وأثبت الدراسات بأن الرضاعة الطبيعية تساهم في تكوين وتقوية جهاز المناعة لدى الطفل في مرحلة مبكرة ونموّه بسرعة أكبر حتى تكون حماية له من أيّ جراثيم أو فيروسات ضارة.[٨٤]

وللرضاعة الطبيعية أثر على صحة الطفل وخلوّه من مرض السكري حيث أثبتت دراسة أجريت حديثا بأن حليب الأم يساهم في الحفاظ على خلايا بيتا البنكرياسية والتي تتفرز الأنسولين الطبيعي المضاد للسكري على عكس حليب البقر فإنه يساهم في تحطيم تلك الخلايا مما يجعل الطفل عرضة لهذا المرض. ومن فوائد حليب الأم الناتج من الرضاعة الطبيعية أنه يساهم بشكل كبير في تطوير الجهاز الهضمي للطفل بالشكل السليم والحليب الطبيعي يقي الطفل ويحميه من مرض الحساسة بل ويوقف تطوّر هذا المرض إن حصل وأصيب به، ثم إن من منافع الرضاعة الطبيعية أنه يقي الطفل من أمراض السرطان خلال الأشهر الثمانية الأولى أكثر بثمانية أضعاف مما يفعله حليب البقر كما أن الرضاعة الطبيعية تحمي الجسم من التهاب السحايا والتهابات الأذن الضارة والتهابات الجهاز التنفسي والتي من أهمها مرض الربو كما أن الرضاعة الطبيعية تعتبر أفضل مسكّن طبيعي للطفل فهي تساهم في زيادة الإستقرار النفسي والهدوء لدى الطفل وتساعده على النوم بشكل كبير.

وقد ثبت علميا بأن حليب الأم يحتوي على السائل الأصفر والذي يسبق نزول لبن الأم في أول أيام بعد الولادة، وهذا السائل له فوائد جمّة، حيث يحتوي على مواد أمينية تحمي الطفل من التلوث والتسمم وهو يساهم في تليين الأمعاء وتكوّن العظام بصورة قوية ومتماسكة أكثر من الطفل الذي لا يعتمد على الرضاعة الطبيعية كما أن من فوائده حماية الطفل من أمراض السنة والبدانة. والرضاعة الطبيعية تساهم في زيادة نسبة الذكاء والقدرة على التعلم بالنسبة للطفل الذي يعتمد على حليب أمه على عكس الذي لا يعتمد عليه حيث يتأثر الطفل بشكل سلبي خاصة إن قصرت المدة عن الثلاثة أشهر الأولى وهذا يرجع إلى نسبة الدهنيات الفسفورية التي يفرزها حليب الأم حيث تتركز هذه الدهنيات في العقل وتعمل على تركيب خلايا المخ وتساهم في زيادة نسبة الذكاء بشكل ملحوظ.

وهكذا يرى الباحث بأن الرضاعة الطبيعية للطفل التي أمرنا الله بها وحثّنا عليها فيها من الإعجاز العلمي الشيئ الكبير وقد أثبتت كافة الدراسات والأبحاث فضل الرضاعة الطبيعية والتي أشار إليها القرآن قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمانوهذا إنما يؤكد عظمة الكتاب العزيز وأن الإنسان مهما تطور في علومه وأبحاثه فلا بد

[٨٤] نفس المرجع.

أن يصل إلى طريق واحد هو أن الله إنما أراد من وراء كل تشريع شرعه لنا مصلحتنا الدنيوية والأخروية.

الخاتمة

تبين لنا من خلال هذه الورقة النتائج، منها أن أهم النتائج التي رأيناها احتواء سورة البقرة على العديد من الأيات التي فيها إشارات علمية دقيقة لم تكن مكتشفة وقت نزول القرآن لكن مع تطور العلم الحديث فإن العلم جاء وأكّد ما أثبتته هذه الأيات الكريمة، وهذا دليل أخر على عظمة وفضل سورة البقرة على غيرها من سور القرآن الكريم.

الظاهرة القرآنية	الحقيقة العلمية	وجه الإعجاز
القرآن الكريم يقدّم السمع (الأذن) على الأبصار (العين)	اكتمال حاسة السمع قبل حاسة البصر بعد خروج الجنين مباشرة	المطابقة
القرآن الكريم يضرب المثل بالبعوضة بدون الحياء	أثبت العلم الحديث أن أنثى البعوض هي وحدها تتغذى على الدم وتقوم بالمتصاصه وتنقل الأمراض من خلاله	المطابقة
القرآن الكريم ذكر الشروق والغروب بصيغة المفرد	أن للأرض مشرقا حقيقيا واحدا ومغربا حقيقيا واحدا	المطابقة
القرآن الكريم يحرّم معاشرة النساء أثناء المحيض	إدخال القضيب إلى المهبل أثناء المحيض ليس سوى إدخال للميكروبات	المطابقة

المراجع

Jauhar Azizy, Muhammad Sairi. "Al-Qur'an Antara Wahyu Aural dan Kodifikasi 'Uthmani". *Ilmu Ushuluddin,* Vol. 5, No. 2, 2018.

Rosyad, Aftonur. "Qawaid Tafsir: Telaah atas Penafsiran Alquran Menggunakan Qaul Sahabat". *Ulul Albab: Jurnal Studi Islam.* Vol. 16 No. 2, 2015.

Selamat Bin Amir, Monika, Munirah Abd Razzak, Dato' Mohd Yakub, Zulkifli Mohd Yusoff. "Aplikasi Elemen Saintifik dalam Tafsir Al-Qur'an: Satu Pengamatan Awal Terhadap Manhaj Zaghlul Al-Najjar dalam *Tafsir al-Ayah al-Kauniyah fi al-Qur'an al-Karim*". Disajikan dalam Proceedings: The 2nd Annual International Qur'anic Conference pada 22-23 Februari 2012 bertempat di Akademi Pengajian Islam Universiti Malaya Kuala Lumpur.

إبراهيم مصطفي و أخرون. *المعجم الوسيط*. ج ٢. القاهرة: دار الدعوة، بدون سنة.

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي (ت. ٣٢٧ هـ). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط ٣، ج ١. السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩ هـ.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب (ت. ٥٠٢ هـ). *تفسير الراغب الأصفهاني*. تحقيق: محمد عبد العزيز بسوني. ط ١، ج ١. الرياض: دار الوطن، ١٩٩٩.

DOI: 10.15408/iu.v7i1.14046

الألوسي، شهاب الدين السيد محمود. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. ج ١. بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون سنة.

البار، محمد علي. *خلق الإنسان بين الطب والقرآن*. ط ٨. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٩١ م.

البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ). *صحيح البخاري*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر النصر. لبنان: دار طوق النجاة، ٢٠٠١ م.

البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت. ٥١٠ هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط ١، ج ١. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.

الترمذي، محمد بن عيسى بن موسى الضحاك (ت ٢٧٩ هـ). *سنن الترمذي*. ج ٤، ط ٢. تحقيق: أحمد شاكر ومحمد عبد الباقي. مصر: مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي، ١٩٧٥ م.

ابن حيان، محمد بن يوسف بن علي (ت ٧٤٥ هـ). *البحر المحيط*. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠ هـ.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي (ت ٦٠٦ هـ). *مفاتيح الغيب*. ط ٣، ج ٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت ٦٦٦ هـ). *مختار الصحاح*. ج ١، ط ٥. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠ هـ.

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت. ١٢٠٥ هـ). *تاج العروس من جواهر القاموس*. الإسكندرية: دار الهداية للنشر والتوزيع، بدون سنة.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت. ٥٣٨ هـ). *الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ط ٣، ج ١. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ.

الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت. ٣١١ هـ). *معنى القرآن وإعرابه*. ط ١، ج ١. بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨ م.

ابن سيده، أبو الحسن على بن إسماعيل المرسي (ت ٤٥٨هـ). *المحكم والمحيط الأعظم*. ج ٦، ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت ٣٧٣ هـ). *تفسير السمرقندي (بحر العلوم)*. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣ م.

الشعراوي، محمد متولي (ت ١٤١٨ هـ). *تفسير الشعراوي*. ج ١. مصر: مطابع أخبار اليوم، بدون سنة.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت ٣١٠ هـ). *جامع البيان في تأويل القرآن*. ط ١. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت ١٣٩٣ هـ). *التحرير والتنوير*. ط ١، ج ١. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م.

ابن فارس، أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ). *معجم مقاييس اللغة*. ج ٣. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ.

الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ). *القاموس المحيط*. ج ١، ط ٨. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ). *تفسير القرآن العظيم*. ج ١، ط ٢. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ.

مسلم، أبو الحسن بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ). *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون سنة.

المراغي، أحمد بن مصطفي (ت. ١٣٧١ هـ). *تفسير المراغي*. ط ١،ج ١. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٤٦ م.

ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ). *لسان العرب*. ج ٧، ط ٣. بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت. ٢٧٣ هـ). *سنن ابن ماجة*. ج ٢. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء الكتب العربية، بدون سنة.

النابلسي، محمد راتب . "موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية"، ملخص محاضرة إذاعية أجريت معه بتاريخ ١-١١-٢٠٠٣

النجار، زغلول. "من أسرار القرآن،" مقالة علمية نشرت له على موقع صحيفة الأهرام المصرية بتاريخ ١٢-٠٢-٢٠٧

DOI: 10.15408/iu.v7i1.14046